المحاضرة الرابعة (نظري /تطبيقي):

مفهوم الجمال عند الفلاسفة المسلمين

- **أهداف الدرس:**

_ أن يتعرف على مفهوم الجمال في المجتمع الاسلامي

_ أن يتعرف على أثر الفلاسفة المسلمين في الرؤية الجمالية

_ أن يفهم الطالب أهم الاتجات الجمالية في المجتمع الاسلامي

_ أن يطلع الطالب على أهم الابداعات الفنية في الحضارة الاسلامية

تمهيد :

بعد دراستنا في المحاضرة الأولى و الثانية والثالثة لمفهوم الجمال من حيث معناه الواسع ،وأبرزنا مدلولات مفـهومه لدى الحضارات القديمة و فلاسفة الغرب اليونان، و عند العرب في شعرهم الجاهلي ،سنتطرق في **محاضرتنا الرابعة** لمفهوم الجمال عند المسلمين .فهل للفلاسفة المسلمين تأثير على الجمال ، وماهي مكامنه ؟

- **مفهوم الجمال عند فلاسفة الإسلام :**

كان لفلاسفة الإسلام مفاهيم خاصة في الجمال، وأشهر هذه المفاهيم هو مفـهوم (التناسق)، فقد لقي هذا المفـهوم الذي ظهر أول مرة عند الفيثاغوريين تأثيراً لدى الفلاسفة المسلمين، وخصوصاً عند (إخوان الصفا) الذين طوَّروا مفـهوم التناسق بشكل يتَّفق مع بحثهم حول نظريات الموسيقى، كما استفادوا من أراء أفلاطون المثالية الذي يرى أنَّ مصدر الجمال هو الجمال الحقيقي المثالي الكلّي في عالم المثل، وليس صور الواقع الّذي يعتبر ظلَّ الحقيقة أو صورتها، وليس هي نفسها، وحدّد عناصره بالوزن والتّناسب، وأرسطو الذي يعتقد أنَّ الجمال

هو الانسجام الحاصل من خلال وحدة تجمع في داخلها التنوع والاختلاف في كل منسجم، وأفلوطين الّذي يعتقد أنَّ الجمال هو تلك الحياة التي وهبها الله لمخلوقاته ونفخ فيها من روحه، ومن ثم فالشيء الجميل هو الذي يشع بالحياة"[1]

-الرّبط بين الأخلاق والجمال من منظور إسلامي:

---

[1] - ينظر: رفاعي، أنصار محمد عوض الله. (لأصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي)، مرجع سابق، ص382-383 ،عيد سعد يونس. التَّصوير الجمالي في القرآن الكريم، مصر، عالم الكتب، م2006/ه1427، ص: 24- 26.

كثيراً ما استعمل الفلاسفة مصطلحات: "(الحقّ والخير والجمال) معطوفاً بعضها على بعض، وهي تمثّل القيم الّتي طالما سعى لها الإنسان حينما تصفو إنسانيّته" [2]، ولكونها كذلك ، فصاحب الأخلاق الفاضلة يوصف دائماً بالجمال وحسن الخلق، كما بيّن ذلك الغزاليّ بقوله: " فاعلم أنَّ الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات؛ إذ يقال هذا خلق حسن، وهذا علم حسن، وهذه سيرة حسنة، وهذه أخلاق جميلة، وإنَّما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفَّة والشَّجاعة والتَّقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير وشيء من هذه الصّفات لا يدرك بالحواسّ الخمس، بل يدرك بنور البصيرة الباطنة.." [3] .نستخلص من ذلك أن الحسن والاخلاق هو من جماليات القيم الفاضلة التي تستلزم غرسها في سلوكيات نفوس الناس وتعليمهمهم الذوق الحسن والجمال الوجداني ، وبذلك تتعمق القدرة عندهم على التَّمييز بين الحسن والقبيح، والتَّفاعل مع الجمال المادّي والمعنوي .كما " ربط المعتزلة بين الأخلاق والجمال بالعقل وبالشّرع معاً، فما يكون حسناً في نظر العقل يكون حسناً في نظر الشّرع ، فالعقل عندهم هو أساس القيمة الأخلاقية والجمالية، فكأنّنا بصدد موقف جمالي عقلي يطابق الحقّ بالجمال"[4]

، في حين نجد مفهوم **الجمال عند متصوّفة المسلمين** ومن أكثر العلماء تحليلا للفكر الجمالي عند المتصوّفين هو أبو حامد الغزالي(ت505هـ) في كتابه: (إحياء علوم الدّين)، أذ حلل جماليات فكر المتصوفة وقسمه في تحليله إلى قسمين قسم خارجيي ويبدأ بالقول في السّماع، يسمّى الوجد، وأنّ الوجد يؤدّي إلى تحريك الأطراف بحركات غير موزونة تسمّى الاضطراب أو بحركات موزونة تسمّى التّصفيق والرّقص، ثمّ يبيّن أنّ كلّ سماع إنّما يتمّ عن طريق قوّة إدراك، وقوى الإدراك الحسيّة هي الحواسّ الخمسة، وأمّا القوى الباطنة فمنها قوّة العقل ومنها قوّة القلب، ولكلّ قوّة من هذه القوى تلذّذ بموضوعها تشّعر باللّذة، يقول الغزالي : "واعلم أن كلَّ جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال، والله تعالى جميل يحبّ الجمال، ولكنَّ الجمال إن كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسَّة البصر وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلوّ الرّتبة وحسن الصّفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصّفات الباطنة أدرك بحاسّة القلب، ولفظ الجمال قد يستعار أيضاً لها فيقال: " إنَّ فلاناً حسن وجميل، ولا تراد صورتته، وإنما يعني به أنه جميل الأخلاق محمود الصّفات حسن السّيرة حتّى قد يحبّ الرّجل بهذه الصّفات الباطنة استحساناً لها

---

[2] -الشّامي، صالح أحمد، الظّاهرة الجمالي في الإسلام، مرجع سابق، ص63

[3] -ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين. الفوائد، مرجع سابق، 184

[4] -ينظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج4 ،ص299

كما تحبّ الصّورة الظّاهرة "[5] ويسطرد الغزالي قوله : " أن لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلاّ وهو حسنة من حسنات الله تعالى وأثر من آثار كرمه تعالى، وغرفة من بحر وجوده سواء أدرك هذا الجمال بالعقول أو بالحواسّ، وجماله تعالى لا يتصوّر له ثان لا في الإمكان ولا في الوجود" .[6] وخلاصة القول أن المتصوفة لا يقف إحساسهم بالجمال عند حدود العالم المشهود ، بل تسمو حواسهم إلى عالم الهي نورانيّ مقدَّس تتمثَّل فيه كلّ القيم الفاضلة ، يرى أبو حيّان التّوحيدي :" أنّ صفات الله تعالى وأفعاله هي المثَل الأعلى في الحسن، وأنّ الأشياء كلَّها تستمدّ جمالها من تلك الصّفات والأفعال" [7] وفي هذه الأراء عند المتصوفة ما نجد بعض التشابه " ..وهذا يتّفق مع رأي أفلاطون السابق حينما ربط الجمالات الجزئيّة بالجمال بالذّات" [8].فقال: " ...والصّورة ظاهرة وباطنة، والحسن والجمال يشملهما، وتدرك الصّور الظّاهرة بالبصر الظّاهر، والصّور الباطنة بالبصيرة الباطنة، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها، ولا يلتذّ بها، ولا يحبّها ولا يميل إليها، ومن كانت الباطنة أغلب عليه من الحواسّ الظّاهرة كان حبّه للمعاني الباطنة أكثر من حبّه للمعاني الظّاهرة فشتّان بين من يحبّ نقشاً مصوّراً على الحائط لجمال صورته الظّاهرة وبين من يحبّ نبيّاً من الأنبياء لجمال صورته الباطنة " [9]. وخلاصة القول أن الجمال عند فلاسفة المسلمين –غالبا – ارتبط بسمو الاخلاق والرقي الروحي.

– مفهوم الجمال عند عامة المسلمين:

السلوكيات الممارسة في واقع أساليب الحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة لدى عامة المسلمين خاصة في مرحلة الازدهار الحضاري , نجدهم قد شغفوا بمختلف الفنون المعروفة آنذاك ، (غناء ورقص وشعر، وعمران ....) كم" تميزت جماليات الفن الاسلامي في براعة الهندسة والعمارة وفن الزخرفة كما أثير جدل حول تحريم بعض الفنون كالرسم ؛تصوير الكائنات الحية أو صناعة التماثيل المجسمة ... "[10] ، كل ذلك الجدل قد يكون ساهم في التقليل من هذه الفنون وعدم منحها الاهتمام الكافي على اعتبار أن ذلك قد يذكرهم بالتماثيل السائدة بالجاهلية ، إلا أن في كل ذلك يأتي الشعر في الدرجة الأولى من الاهتمام ؛ كما أنه " لم تكن نظرة المسلمين إلى تذوّق الجمال تستند إلى الإدراك الحسيّ فقط، بل كانت تربط اللّذة بما هو جميل بإدراك ذهنيّ يكشف عن جمال

---

5 - الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. إحياء علوم الدين، ، ج2 ،ص280

6 - ينظر: المرجع نفسه ، إحياء علوم الدين ،ج2 ،ص280

7 - ينظر: حسين الصديق. فلسفة الجمال ومسائل الفن عند أبي حيان التّوحيدي، مرجع سابق، ص93-94

8 - ينظر: أبو ريان، محمد علي. فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، مرجع سابق، ص23

9 -) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج4 ،ص300

10 - ينظر : راوية عبد المنعم عباس ، الحسن الجمالي وتاريخ الفن – دراسة القيم الجمالية والفنية – دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط1998م1، بيروت ص74

المضمون ""[11]، فكان موقف المسلمين واضحاً من الاهتمام بالفنون والآثار الجميلة وتقديرهم للجمال في جميع صوره ، وتعلّقهم بالمظاهر الحسّيّة للجمال سواء عن طريق البصر أو السّمع"[12] ومن أكثر أنواع الفنون التي ظهرت في هذه المرحلة نجد :الفسيفساء، وآرابيسك، والخط العربي الإسلامي والعمارة الإسلامية ، بالإضافة إلى كافة أشكال التجريد.

- **تطبيق: إذ كان الكون بكلّ ما فيه من تناسق وروعة وجمال ؛ يشكّل لوحة فنيّة أخّاذة يوصل الإنسان إلى معرفة خالقه، قال تعالى :" وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ " سورة الملك الآية 5 (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ) سورة الحجر ،الآية 16** – بين من خلال العناصر التالية:

أ– مشاهد الجمال في القرآن الكريم:

ب– الألفاظ الدّالّة على الجمال في القرآن الكريم:

---

[11] -) ينظر: أبو ريان، محمد علي. فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، مرجع سابق، ص19-20

[12] - ينظر: أبو ريان، مرجع سابق، ص20